

أئمة أهل البيت (ع)، إعداد الكوادر الإنسانية و تطوراً في هيكلية الشيعة

على محمد ولوى^١، صادق آئينهوند^٢، محمدعلي مهدوي راد^٣، فهيمه فرهمندپور^٤

تاريخ القبول: ١٤٢٨/١٠/٢٩

تاريخ الوصول: ١٤٢٨/٩/١٩

إن وجود المجتمع غير المنظم لأبناء الشيعة في العقد الثاني من القرن الأول بالمقارنة مع التنظيمات الشيعية التي عاشت في القرن الثالث إنما يدل على حصول تطور ملموس وملحوظ في هيكلية هذه المدرسة. ويعود ذلك إلى القيادة الحكيمة و الرشيدة لأئمة أهل البيت (ع) التي تُعد العامل الأساس لتحقيق هذا الأمر و قد تجسدت في تربية و إعداد الكوادر الإنسانية لتوفير الأجواء بهدف نشر مدرسة التشيع و ايصالها إلى أتباعها في العالم و إيجاد العلاقات الوثيقة و المؤثرة معهم حتى في أبعد المناطق الجغرافية من العالم الإسلامي.

إن هذه الدراسة اعتمدت على نظرية «كيدنز» و هي تحت عنوان «الهيكلية» و التي تجعل من الفرضية القائلة بأن ما قام به أئمة أهل البيت (ع) في مجال تربية و إعداد التلاميذ و اعتبارهم حلقة وصل بين اتباع مدرسة أهل البيت (ع) في أنحاء العالم الإسلامي هو الذي أنتج هذا التطور في هيكلية و نظام مدرسة التشيع. و تسعى هذه الدراسة إلى البحث و التدقيق في أساليب أئمة أهل البيت (ع) في تربية خواص شيعتهم.

الكلمات الرئيسية: الأئمة، التشيع، تطوراً في الهيكلية، إعداد و تربية التلاميذ المتميزين.

١. أستاذ مشارك في قسم التاريخ لجامعة الزهراء (س)

٢. أستاذ تاريخ الاسلام في جامعة تربيت مدرّس

٣. أستاذ مساعد في جامعة تربيت مدرّس

٤. طالبة الدكتوراه في فرع التاريخ الإسلامي، جامعة الزهراء (س)

المقدمة

لقد اعتُبرت العصور التي تلت رحلة النبي (ص) و بالتحديد في فترة إقصاء أئمة أهل البيت (ع) عن المسرح السياسي و الحكم استمراراً للسنن و العادات التي عاشها العرب في العصر الجاهلي. و دراسة كيفية هذا الاستمرار و تقارب مستوى الفكر لدى المجتمع الاسلامي إلى المستوى الفكري في فترة الجاهلية و قبل مجيء الاسلام تشير إلى سيطرة الأفكار و الرؤى التي جاءت بها مدرسة الأمويين و العباسيين اعتماداً على الأرضية الخصبة لدى العادات الاجتماعية. اذاً يبدو من الواضح عدم استطاعة أئمة أهل البيت (ع) ممارسة التأثير الفكري و الثقافي و الاقتصادي لدى عامة الناس في ظل عدم امتلاكهم القدرة السياسية في المجتمع. حيث لم تثمر المساعي التي بذلها أئمة أهل البيت في غضون العقود الأولى اثناء قيادتهم للمجتمع و يعود سبب ذلك الى إفتقادهم للدعم الحقيقي من الناس . فبغض النظر عن الأبعاد الواسعة التي حققتها نهضة الإمام الحسين (ع) في واقعة «الطف» و رغم الفشل الظاهري فيها ما كان يلفت الانتباه باعتباره استراتيجية لحركة الأئمة (ع) لم يكن محاولةً ثوريةً على النظام الحاكم بقدر ما كانت مساعي حمة في طريق التحول و التطور بصورة تدريجية.

إن هذه الدراسة تسعى لإلقاء الضوء أكثر فأكثر على أسباب و طريقة الحركة الاجتماعية و السياسية لأئمة أهل البيت (ع) و ما مارسوه في قيادة و هداية الشيعة عبر استخدام مؤشرات تابعة لنظرية كيدنز بعنوان «الهيكلية». تعتبر الهيكلية في هذه النظرية الأرضية الثانوية للاتفاق، ولكن على الرغم من ذلك فالانسان الواعي يحاول دائماً تسليط الضوء أكثر فأكثر على الهيكلية من خلال مسيرته و سلوكه الهادف. و على هذا الأساس يقوم و عبر تيار

تدريجي بتجسيد الهيكلية المتغيرة عبر الأزمنة حسب نموذج القديم . (أنطونى كيدنز، ١٣٨٤، ٥٩ — ٩٩ — نفس المصدر، ١٣٨٢، ٤١ — ٤٣) .

يعتقد كيدنز بأن مسألة التفويض أى قدرة التحكم على الذات هي من أهم الآليات و المصادر الموجودة التي تمد الانسان ليقوم بتحول و تغيير تدريجي في هيكلية قائمة راسخة في ظاهر الأمر مما يؤدي الى نتاج نظام اجتماعي جديد آخر . (جيدنز ١٣٨٤، ٩٣ — ١٠٣)

انطلاقاً من هذا الإطار الفكري للسلوك يتضح لنا سببُ المواقف و الممارسات الثقافية و السياسية و الاجتماعية لأئمة أهل البيت (ع)، بحيث نرى أن الأئمة (ع) و بعد واقعة «الطف» قادوا حركة سلمية و بحسب الظاهر علمية و ثقافية بدلاً من قيامهم بشن حملة مباشرة ضد الأجهزة الحاكمة و التي من المؤكد أنها لن تنتهي بالنصر و الغلبة و كل ذلك بهدف التغيير الجذري لدى أسس المجتمع الاسلامي، و بالطبع كانت تلك النشاطات قد أثمرت بعض النتائج السياسية و الاجتماعية مما أثار الحساسية لدى الأجهزة الحكومية يوماً بعد يوم بالنسبة للأئمة (ع) و أتباعهم.

تحول الهيكلية و الانسجام الفئوي و ضرورة استمرار

حياة الشيعة

لو اعتُبر الانسجام الفئوي و العلاقة البارزة بين الشيعة و السلطات في خلق الحركات و التطورات الاجتماعية أساساً من أسس و اقتدار الهيكلية الشيعية و الذي اعتمد عليه أتباع أهل البيت (ع) منذ القرن الأول الهجري قياساً مع شيعة أهل البيت (ع) في اواخر القرن الثاني و بدايات القرن الثالث؛ تتضح لنا الأسباب المؤدية إلى نجاح أهل البيت (ع) في خلق هذا التحول الهيكلي في

وصل بينهم و بين الشيعة المنتشرين في البلاد الاسلامية، كان السبب وراء التطور الجذري الذي شهدته الهيكلية الشيعية، و هي تستعرض و تدرس الأساليب التعليمية المميّزة لأصحاب الأئمة (ع) و الأداء العلمي و السياسي و الاجتماعي الذي جسّدوه ضمن نشاطاتهم.

التعامل العلمي للأئمة (عليهم السلام) مع شيعتهم

لا ريب في أن علاقة أهل البيت (ع) العلمية مع الناس لم تكن على مستوى واحد . فبالإضافة الى الخطابات و الإرشادات العامة و الموجهة لعموم الناس هناك أشخاص آخرون تم اختيارهم من قبل الأئمة (ع) لأدخالهم دورات تدريبية علمية طويلة المدى، و بالتالي اعدادهم لتحمل مهام و مسؤوليات جسام. و البعض من هؤلاء الاشخاص كانوا يقدّمون من المناطق و البلدان المختلفة لينالوا شرف الصحبة و التلمذ على يد الأئمة (ع) . بحيث نجد في كتب علم الرجال اسماء لصحابة الأئمة (ع) مثل الكوفي و الخراساني و المروزي و الرازي و البغدادي و النيسابوري و القمي و غيرها، و هي تدل على مناطق ولادتهم المختلفة و المتعددة.

لقد بين الأئمة (ع) خلال نقلهم أحاديث عن الرسول (ص) الفروع المختلفة للعلوم الاسلامية و علّموها لاختصاص أصحابهم و تلاميذهم . و هذا هو « المفيد » يستعرض فحوى جلسة الامام الباقر (ع) الدراسية في " اخبار المتبداً و اخبار الانبياء و المغازي و السنن و مناسك الحج و تفسير القرآن و الاخبار " (المفيد ١٤١٣، ٢، ١٦٣) و ثمة منقولات أخرى تبين الاتجاهات التخصصية لتلاميذ الامام الصادق (ع) . (الطوسي، ١٤٢٤، ٢٧٥ - ٢٧٨). اضافة الى النشاطات التعليمية التي قام بها أئمة أهل البيت (ع) فقد كانوا يُشرفون مباشرة على النمو الفكري و العقائدي لدى الطلاب

منظمة تشيع الشيعة، و لم يكن يتبع مدرسة أهل البيت (ع) في أواخر القرن الأول إلا افراداً منتشرون لا يجتمع بعضهم مع البعض الآخر لاجل فكرة أو هدف معين لأنهم يواجهون ضغوطاً سياسية و تهديدات بشن الحروب النفسية و المواجهات و الصراعات الإعلامية مما يؤدي الى تفرقهم و عدم اجتماعهم من جديد، الا أن هذه المجموعة استطاعت خلال أقل من قرنين أن تصبح أقوى تيار معارض أمام الأجهزة السياسية التابعة للأمويين و العباسيين و من يسير في فلكتهم، و قاموا بممارسات سياسية و عسكرية معارضة لهم. و أن هذه المجموعة من أتباع مدرسة أهل البيت (ع) و تحت القيادة الحكيمة للأئمة (ع) استطاعوا أن يوسعوا نشاطاتهم في أنحاء الحكومة الاسلامية، ليس هذا فحسب بل استطاعوا التغلغل في أوساط الإدارة الحاكمة ليهدها من الداخل.

إن القدرات الخارقة لأئمة أهل البيت (ع) في إدارة معتقدات الشيعة نحو ممارسة تحول جذري و شمولي (و حسب قول كيدنز القدرة على سيطرة الأشخاص) أدت الى تربية تلاميذ مميّزين عبر التأثير المباشر على عموم اتباع مدرسة أهل البيت (ع) سعياً لتحقيق أهداف عالية . و ليحملهم مسؤولية توثيق عرى التواصل و دعم الهيكلية الشيعية في سائر بلاد المسلمين باعتبارهم العناصر الأساسية و المهمة لأئمة أهل البيت (ع) على أساس هذه التنظيمات المبرمجة و في محلّها استطاع اتباع أهل البيت (ع) المضي قدماً في طريقهم، كل ذلك بالرغم من المضايقات و الأطر الحرجة التي اصطنعتها الحكومات لمواجهة حركة الأئمة (ع) فترة حياتهم من السجون و المطاردات، و أخيراً غيبة الامام المهدي (عج) و عدم بروزه علانية او بصورة مكشوفة أمام المجتمع.

أن هذه الدراسة تعتمد على فرضية تقول أن ما قام به الأئمة (ع) في تربية و إعداد التلاميذ باعتبارهم حلقة

أئمة أهل البيت (ع)، إعداد الكوادر الإنسانية و تطوراً في هيكلية الشيعة

اذ كانوا يعرضون ما تلقوه من العقائد و الافكار على أئمة أهل البيت (ع) لتقويمها و تصحيحها و اخيراً توكيدها (الكليسي: ١٣٨٨، ١، ٨٦ و ١٦٨-١٦٩).

و بالتالي كان الأئمة (ع) يمارسون دقة عالية في النشاطات العلمية مع الطلبة إضافة إلى تقييمها (نفس المصدر ١، ١٦٩، ١٧١-١٧٤).

ادوار و مستوى تلاميذ الأئمة (ع) الخواص

في ظل الإتساع الجغرافي للبلاد الاسلامية و إتساع رقعة تلقي الفكر الشيعي و قبوله من جهة، و المضايقات الواسعة التي خيمنت بظلالها على نشاطات أئمة أهل البيت (ع) فيما يخص العلاقات مع اتباعهم، كان من الواجب حضور فئة تلعب دور الوسيط بين الامام (ع) و أتباعه. إن هذه المجموعة كانت تحمل على عاتقها مهمة علمية و تعليمية بالنسبة للشيعة الا أنهم و مع مرور الزمان أصبحوا يؤدون أدواراً اجتماعية و اقتصادية و سياسية . و تؤكد العناوين المتنوعة بهذا الخصوص و التي أطلقَتْ على أصحاب الإمام الصادق (ع) ما ذهبنا اليه، فعلى سبيل المثال يقول ابن شهر آشوب في ختام تقريره عن حياة كل واحد من الأئمة (ع) و بشكل مختصر . " و من ثقاته ... و من وكلائه ... و من اصحابه و بابه ... " (ابن شهر آشوب، ١٤٢٧، ٤، ٤١٢، ٤٣٤ و ٤٥٦) . لقد عرف الشيخ الطوسي في كتابه "الغيبة" و "اختيار معرفة الرجال" مجموعة واسعة من تلامذة أئمة أهل البيت (ع) بالإضافة الى المهام المُلقاة على عواتقهم .

وفيما يلي نتعرض الى دراسة نشاطات اصحاب أئمة أهل البيت (ع) في القسمين العلمي و السياسي-الاجتماعي.

١- الدور العلمي و النتائج العملي لتلاميذ الأئمة (ع)

إن القراءة العميقة الثرة لأئمة أهل البيت (ع) من الاسلام قياساً مع قراءة الأمويين و العباسيين منه أدت الى بروز

تحول ثقافي و اجتماعي و سياسي في البلاد الاسلامية ولهذا حظي المقربون من أئمة أهل البيت (ع) بمكانة خاصة على هذا الصعيد كونهم يلعبون دوراً مهماً في نقل الرؤية الفكرية و الدينية لدى أئمة أهل البيت (ع) .

يذكر الامام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) في دعائه السادس و العشرين من الصحيفة السجادية المجاهدين المسلمين عموماً و يتحدث بالتفصيل عن المجاهدين في سبيل أتباع سنة النبي الأكرم (ص) و يدعو الله لهم كما يعلمهم في عداد المجاهدين و المقاتلين في سبيل الله .

أما الإمام الرضا (ع) فقد اعتبر مسألة تعليم فكر و مذهب أهل البيت (ع) للناس اعتبرها آية لإحياء أمرهم (ع) و كان يدعو الله تعالى لمن يقوم بهذا الامر (الصدوق ١٣٦١، ١٨٠) . إن هذه العبارات و النماذج الكثيرة و القريبة بعضها من البعض (الامام الحسن العسكري «المنسوب» ١٤٠٩، ٣٤٣) لتؤكد و بوضوح مدى تأثيرها على تطور و حث و نماء القدرات و الاستعدادات الكامنة لتعلم و نشر علوم و فكر أهل البيت (ع) بين الناس . و ما يمكن ذكره في هذا المجال بشأن الدور العلمي الذي لعبه تلاميذ الأئمة (ع) في توسيع و نشر المعارف الشيعية و نقل تعاليم أهل البيت الى اتباعهم و توفير حالة من التناسق الفكري بينهم هو نقل و رواية الاحاديث (المفيد، نفس المصدر، ٢، ١٨، الطبرسي، ١٤١٧، ١، ٥٢٥ الطوسي، ١٤٢٤، ١٦٧) و الافتاء و الرد على الأسئلة الفقهية المثارة من قبل الناس (الطوسي، ١٤٢٤، ٣٣٠؛ العلامة الحلي، غفل عنها التأريخ، ٧٣-٧٤، النجاشي، غفل عنها التأريخ، ١٠) و الخوض في المباحث العقائدية (الكليسي، ١، ٨٦، ١٦٨-١٦٩، ١٧١-١٧٣، المفيد، نفس المصدر، ٢، ١٩٣-١٩٩) والقضاء (ابن حجر العسقلاني، ١٤١٧، ٢، ٣٧٥) و

الإرشاد أو الرد على الشبهات و الاسئلة و حتى اعداد و تربية التلاميذ لتدريس الفقه و الكلام و ... (و لا يخفي هنا الدور المهم الذى يلعبه التدريس و التعليم في هذا المجال). علاوة على ضرورة الاهتمام بالنسبة الى تعميق هذه الرؤية فكان الامر يتطلب توثيق عرى التواصل بين الجانبين للإشراف على التداعيات الناتجة عن هذا النمط من التعامل و دخول الناس الى عرصه السياسة و الاجتماع. فعلى الرغم من المتاعب المضنية التي كان أتباع مدرسة أهل البيت (ع) يتحملونها جراء السفر و لمرات عديدة بهدف الوصول الى لقاء الامام (ع) فإن هنالك البعض من كان يُوقَّع لذلك ضمن أداء مناسك الحج (الكليسي، ٢، ١٦٠-١٦١، المفيد، نفس المصدر، ٢، ١٩٩-٢٠٠) إلا أن هذه الطريقة لم تكن على المستوى المطلوب.

و لا يخفى أن الضغوط السياسية التي مورست من قبل الخلفاء على الأئمة (ع) و التي كانت بدورها تحد من هذه النسبة القليلة من التواصل مع أبناء المذهب الشيعي و كانت الأمور تسير نحو ظهور هوة كبيرة بين الأئمة (ع) و الشيعة تلك التي بلغت أوجها مع غيبة الإمام المنتظر (عج). علاوة على ما مر فان إقامة النظم الاقتصادية في امور كالخمس و الوقف و النذور و ... من حيث الحفاظ و توزيعها كانت تتطلب منهجية جديدة لدى منظمة الفكر الشيعي. انطلاقاً من هذا نجد أن الطلاب الذين تلمذوا على يد الامام الصادق (ع) و الى آخر أئمة أهل البيت (ع)، كانوا يقومون بواجبات التنظيم و الاشراف إضافة الى مسؤولياتهم و دورهم في تعليم الناس امور دينهم. و في هذا الأثناء ظهرت مصطلحات جديدة مثل «الوكيل» أي من يحمل على عاتقه واجبات ومسؤوليات خاصة لتدخل معجم المفردات

حتى ما يتعلق بالأطفال (ابوالفرج الأصفهاني، ١٧، ٥) و كل ذلك ساهم بشكل كبير في تطوير و صناعة التشكيلية الشيعية في الأبعاد الفكرية.

٢- دور تلاميذ الأئمة (ع) الاجتماعي و السياسي

٢-١ الواجبات في مجال الوكالة و العلاقة التنظيمية:

إن اتساع حدود البلاد الاسلامية في العالم قد أثر على اتساع الفكر الشيعي مما أدى الى ضرورة توسيع دائرة نشاطات الأئمة (ع) الارشادية للمسلمين عموماً و لاتباعهم بشكل خاص . بحيث كانت البلاد الاسلامية لم تتجاوز حدود العراق (و ذلك شريطة عدم حدوث واقعة الطف و نهضة التوابين و ...) و المناطق الجنوبية لإيران (المتاخمة مع العراق) و أجزاء من اليمن . لكن و مع مرور الزمن و تطور العقائد الاسلامية اجتازت المعتقدات الشيعية الحدود الضيقة لتشمل مناطق واسعة أخرى مثل الحجاز و اليمن و البحرين و عُمان و كذلك أجزاء كبيرة من شمال أفريقيا مثل مصر و المغرب و مناطق اكثر قدماً من العراق كالكوكة و المدائن و مدنه الحديثة مثل سامراء و بغداد إضافة الى مناطق مختلفة من ايران (و قد كانت العقائد الشيعية سائدة جغرافياً انذاك لتشمل آسيا الوسطى) مثل قم و همدان و قزوین و جبال آذربايجان و سيستان و نيشابور و بيهق و مرو و سمرقند و هرات و طبرستان و ديلم و ... حيث كان عدد كبير من أبناء الشيعة يقطنون في هذه المدن . و على هذا فإن التأثير المباشر على هذه الكثافة السكانية توجب برجة و تنظيماً موسعاً . إضافة الى ذلك يجب أن لا ننسى بأن الأئمة (ع) كانوا يسعون الى تكوين تنظيم ديني اجتماعي فكري و سياسي موحد. و هذا الأمر لم يكن ليتحقق في مجالس الوعظ و

الشيعة.^١ أما مصطلح «الباب» (الذي استخدم أكثر من مصطلح «الوكيل») كان يعنى الصحابي الخاص و هو أمين و حافظ سر الإمام المهدي (عج) و يقوم بتنظيم الامور العامة للإمام (ع) (ابن شهر آشوب ٤، ٤١٢، ٤٣٣، ٤٥٦). كما أن مصطلح «قيم» كان يُطلق على من يتولّى الإمام (ع) في أمر خاص فهو النائب عن المعصوم (ع) (الطوسي، ١٤١٧، ٣٤٧؛ نفس المصدر ١٤٢٤، ٤٥٣؛ نفس المصدر ٣٣٢، ١٤١٥ و ٤٠٠) و اخيراً مصطلح «النائب» (قطب الدين الراوندي، بدون تأريخ، ٣، ١١٢) او «السفير» (الطوسي، ١٤١٧، ٣٤٥ و ٣٥٣) الذي كان يطلق تحديداً للوكلاء الخاصين للإمام الثاني عشر في فترة الغيبة الصغرى، أن هذه المصطلحات تدل على حدوث أدوار جديدة لدى هيكلية التنظيم الشيعي. إن دور هذه الشخصيات كان يبرز خاصة أثناء فترة سجن و محاصرة الأئمة (ع) (مثل الفترة التي عاشها المسلمون عند إمامة الإمام الكاظم (ع) و الإمام الهادي (ع) و العسكري (ع)) او بعد استشهاد كل واحد من الأئمة (ع) و فترة نقل مهام الإمامة منه الى ولده التي كانت عموماً تشهد توترات و مخاطر كثيرة و اخيراً مع بدايات فترة الغيبة الصغرى للإمام (ع). (المسعودي ١٤١٧، ٢٢٠-٢٢١؛ الكليني، ١، ٣٢٤)

كما اشرنا في ما سبق فان إتساع الحدود الجغرافية للبلاد الاسلامية كان سبباً رئيسياً وراء عدم تكوين علاقات و روابط مؤثرة بين الأئمة (ع) و اتباع مدرستهم.

١. لم يكن مصطلح «الوكيل» مصطلحاً حديثاً اذ تم استخدامه في زمن النبي (ص) و أول أئمة أهل البيت (ع) (الكليني، ١، ٥٤٣؛ الاربلي، ٢، ١٤٢٦، ٣٧١-٣٧٢ و...) بحيث كان يُطلق على مَنْ يقوم باداء واجبات أمر بها الرسول (ص) أو لتنفيذ مهام بشأن تنظيم القضايا الاقتصادية الخاصة بشخص الامام (ع) او الرسول (ص) و كان هذا المصطلح رائجاً آنذاك ولكن أصبح هذا المصطلح (أى الوكيل) في زمن الأئمة (ع) يُطلق على مَنْ يقوم بدور وسيط بين الإمام و الناس و هو يدعم و يحافظ على قوام المؤسسة الشيعية و يتحمل مسؤوليات و مهام إبان حياة الأئمة و تواجههم في الساحة حتى فترة غيبة الامام المنتظر (عج) الصغرى.

ولكن وجود وكلاء الأئمة (ع) في مختلف المناطق من العالم الاسلامي استطاع أن يسد هذا الفراغ فهم كانوا يجمعون الأسئلة الفقهية لدى الناس و يوصلونها الى الإمام للردّ عليها و اخيراً إطلاع الناس على الأجوبة. اضافة إلى جمعهم للخمس و الزكاة و إيصالها إلى الإمام (ع) او صرف تلك المبالغ في نفس المنطقة، فبهذه الوساطة او الطريقة قاموا بنقل تعاليم أهل البيت (ع) الى الناس و نقل احساس و عواطف الناس الجياشة و المتلهفة للالتقاء بالامام (ع). (الطوسي، ٣١٤-١٤١٧-٣١٥ و ٣٢٠، ٣٢٣؛ نفس المصدر ١٣٨٠، ٥٥، ٢ و ٦١ و ٦٢؛ المفيد، نفس المصدر، ٢، ١٧٣ و ٣٥٦؛ الراوندي، ١، ٤٤١ و ٤٤٨ و ٢، ٧٠٢). إن ما يؤكد وجود الوكلاء و نواب الأئمة (ع) في مختلف العصور بما فيها عصر الحضور و الغيبة الصغرى هو تواجدهم في مناطق واسعة مثل مكة (الطوسي، ١٤١٧، ٣٥٠؛ الراوندي، ٢، ٧١٤-٧١٥) و اليمن (الكليني، ١، ٥١٩) و بغداد (نفس المصدر، ١، ٣٢٤؛ عبدالله المامقاني، غفل عنها التاريخ، ٣/١٢٢٥)، و الكوفة (الحلي، ١٤١٧، ٥٩؛ النجاشي، ١٠٢) و سامراء (١٤١٧، ٣٥٣ - ٣٥٨؛ الحلي، ٢٢٠ - ٢٢١) و واسط (الصدوق، ١٣٩٥، ٥٠٤؛ الراوندي، ٣، ١١٢٠) و البصرة (الكليني، ٥، ٣١٦) و الاهواز (نفس المصدر، ١، ٥١٨ و ٥١٩؛ الطوسي، ١٤٢٤، ٥٣١) و مصر (نفس المصدر ٥٠٦) و قم (نفس المصدر؛ حسن بن محمد بن حسن القمي، ١٣٦١، ٢١١-٢١٢) و رى (الطوسي، ١٤١٥، ٤٣٩؛ نفس المصدر، ٤١٥، ١٤١٧-١٤١٧) و نيسابور (الطوسي، ١٤١٥، ٣٥٣؛ نفس المصدر، ١٤٢٤، ٥١١ - ٥١٢ - المامقاني، ١، ١٠٦) و قزوین (الطوسي؛ نفس المصدر، ٥٢٦) و همدان (نفس المصدر، ٦١١ -

للإمام الهادي (ع) و الإمام العسكري و نائب الإمام الثاني عشر (الطوسي، ١٤١٧، ٣٥٣ - ٣٥٨) من الشخصيات العلمية البارزة آنذاك و قد حملوا ثقل مسؤولية إدارة التنظيم الشيعي و الإهتمام بالأمور العامة و الإقتصادية إضافة الى النشاطات العلمية و التربوية . أما البعض الآخر الذين لم يحظوا بالمستويات العلمية الرفيعة و لكونهم شخصيات مؤمنة و كونهم ثقافة و لهم مكانة اجتماعية بارزة أصبحوا وكلاء عن الإمام المعصوم (ع) . فكانت تبرز مهمتهم سيما بعد استشهاد الإمام (ع) و تعريف خلف الإمام الشهيد (ع) و تهيئة الاجواء و الظروف لفترة غيبة الإمام (ع) و بالتالي الحفاظ على انسجام المنظمة الشيعية و اقتدارها (المسعودي، ٢٢٠-٢٣٣؛ الكليني، ١، ٣٢٤) .

٢-٢ النفوذ في المؤسسات الحكومية

على الرغم من أن أئمة أهل البيت (ع) منعوا أي تعاون أو مشاركة للأجهزة الظالمية الحاكمة (الكليني، ٢، ٣٣٣-٣٣٤؛ الصدوق، ١٣٢٦، ١٠٧؛ الطوسي، ١٤٢٤، ٤٤٠؛ حسن بن علي الحراني، ١٣٦٣) لكن و بسبب حدوث بعض الضرورات بما فيها ممارسة التأثير على بعض القرارات الصادرة من الجهاز الحكومي التي تصب في اتجاه تضعيف الشيعة و التشيع و غيرها من القرارات (الكليني، ٥، ١١٠) كان الامام (ع) يسمح او يأمر البعض من اتباعه الخواص ليتولوا مناصب حكومية و يؤدوا دورهم فيها، و يمكن أن نذكر بعضاً من هؤلاء مثل علباء الأسدي والي الحكومة في البحرين في فترة امامة الامام الصادق (ع) (الطوسي، ٢، ١٣٨٠، ٧٣-٧٤؛ نفس المصدر ١٤٢٤، ٣٥٢) و الفضل بن سليمان الذي كان يتولى مهمة كتابة ديوان الخراج لدى

٦١٢؛ النجاشي، ٣٤٤؛ محمد بن حسن الصفار، غفل عنها التاريخ، ٢٦٢) و دينور وقرميسين (محمد باقر المجلسي ١٤٠٣، ٥١، ٣٠٠)، و بيهق (الطوسي، نفس المصدر، ٥١٩ و ٥٨٠) و مرو (الطوسي، نفس المصدر، ٥١١-٥١٢؛ نفس المصدر ١٤١٥، ٣٩٢) و كابل (الطوسي، ١٤٢٤، ٥٣٤-٥٣٥) و كش و هي واقعة في اطراف سمرقند و سمرقند نفسها (الطوسي، ١٤١٥، ٤١٨ و ٤٢٩) و ... يُشار الى أن ما ذكرناه هو غيض من فيض و يمكن الحصول على تقرير كامل لهذه الأمور في المصادر التاريخية و هو ليس محل بحثنا في هذه الدراسة . الى جانب ذلك فإن الضغوط التي مورست على شيعة أهل البيت (ع) في تلك الفترات بالإضافة الى شبكة واسعة من العيون و الجواسيس أجبرت الأئمة (ع) و اتباعهم على ممارسة التقية و العمل الخفي، الامر الذي أدّى الى بقاء حقائق عديدة في حالة من الغموض لم تذكر في الكتب التاريخية .

لعل الأهم من قضية تواجد وكلاء الأئمة (ع) على الساحة الاجتماعية و علاقتها بموضوع هذه الدراسة، هو المسؤوليات الملقاة على عاتق هؤلاء الوكلاء لتنفيذها في مختلف المناطق من بلاد المسلمين و قد أشرنا الى ذلك فيما سبق . ولا يخفى أن المستوى العلمي و الاستعدادات التي حظي بها وكلاء الأئمة (ع) لم تكن على مستوى واحد فلهذا لا يمكن اعتبار مسؤولياتهم على نمط او مستوى واحد. على سبيل المثال تعد شخصيات مثل «صفوان بن يحيى» باب الامام الصادق (ع) و وكيل الإمام الرضا (ع) و الإمام الجواد (ع) (الطوسي، ١٤٢٤، ٥٠٨؛ النجاشي، ١٩٧) و «زكريا بن آدم» و وكيل الإمام الرضا (ع) و الإمام الجواد (ع) في مدينة قم (الطوسي، نفس المصدر، ٥٩٤ - ٥٩٥) و «عثمان بن سعيد» الوكيل البارز

على حضور بعض من اصحاب الإمام (ع) في تلك الثورات و الانقلابات و هم ينفذون بعض الاوامر من قبل الإمام (ع) خلف الستار او من وراء الحجاب. و من الواضح أن الكتب التاريخية لم تحفل بذكر هذه الأمور و يعود ذلك لممارسة التقية و الخوف من العيون و المراقبة.

لكن ثمة اشارات غير صريحة تؤكد حدوث هذه الأمور. على سبيل المثال كان عامر بن واثله من صحابة الإمام علي (ع) حتى الإمام السجاد (ع) و قد خرج مع المختار في نهضته و هو مطارد من قبل الحجاج (الطوسي، ١٤٢٤، ٩٤-٩٥) و يحيى بن ام الطويل من أبرز تلاميذ و صحابة الإمام السجاد (ع) كان من ضمن القلة القليلة الذين آمنوا بأمامة الامام (ع) بعد واقعة «الطف» و قد سجل رد فعل تجاه سب الإمام أميرالمؤمنين (ع) و نقل عنه في التاريخ أنه كان يصرخ في الكوفة و يعلن براءته من سب الإمام علي (ع) و من ال مروان و من جميع الطواغيت و يسعى إلى اىصال الدعم و الخدمة لأتباع مدرسة أهل البيت (ع) و اخيراً قُتل و مُثِّلَ بجثته بأمر من الحجاج (الكليني، ٢، ٣٧٩-٣٨٠؛ الطوسي، ١٤٢٤، ٩-١٠ و ١٥ و ١٢٣؛ بدون تاريخ، ٨ و ٦٤ و ٢٠٤-٢٠٥) و جدير ذكره هنا هو أن الوكلاء الذين شغلوا مناصب حكومية بأمر مباشر من الإمام المعصوم (ع) كانوا يعيشون في أجواء رهيبية و تهديد حقيقي لحياتهم و ذلك نظراً لوجود العيون و الجواسيس الذين يراقبون جميع نشاطاتهم عن كثب. فبالإضافة الى المخاطر التي هددت حياة أئمة أهل البيت (ع) ما أدى الى سجن و تعذيب و استشهادهم أيضاً. كان اتباعهم بمن فيهم الوكلاء و النواب و حتى الخوارج الأقرباء لا يُستثنون من هذه المخاطر و ما ينتج عنها (الكليني، ٥، ١١١-١١٢؛ الطوسي، ١٤٢٤، ٣٧٧-

حكومة المنصور و المهدي (النجاشي، ٣٠٦) و عبدالله بن النجاشي الذي عُيِّن والي لمدينة الاهواز (الكليني، ٢، ١٩٠-١٩١، المامقاني، ٢، ٧٠٨٩) و علي بن يقطين الذي كان يُعد أشهر و أهم الوجوه، فقد بلغ أعلى المناصب السياسية في بلاط المهدي و هارون و قد حقق اموراً لصالح المجتمع الشيعي. (الكليني، ٥، ١١١-١١٢؛ الطوسي، ١٤٢٤، ٤٣٣-٤٣٧؛ النجاشي، ٣٧٣؛ الحلي، ١٧٤) و بنو أشعث من كبار بلاط هارون (الكليني، ٢، ٢٢٤-٢٢٥) و «نوح بن دراج» قاضي بغداد و من ثم انتقل الى الكوفة و ابنه «ايوب» الذي كان وكيلاً للإمام الجواد (ع) بشكل خفي و لعب دوراً بارزاً في اىصال الخدمة للشيعة. (النجاشي، ١٠٢) و والي مدينة سيستان في عصر المعتصم (الكليني، ٥، ١١١-١١٢) و ...

أما في فترة الغيبة الصغرى فقد كانت «للحسين بن الروح» و هو النائب الثاني للإمام (ع) مكانة مرموقة لدى البلاط الحكومي و قد شغل منصب رئيس ما يُسمى بـ «ديوان الضياع الخاصة» التابع للخليفة آنذاك و كان محامياً و داعماً مهماً لمكانة الشيعة و نفوذهم في الجهاز الحكومي و اىصال الخدمات الى الفقراء و المعوزين. (عباس اقبال، ١٣٥٧، ٢١٧-٢١٨)

٢-٣ تنفيذ الأوامر الثورية

ثمة شواهد مؤكدة تشير الى عدم اخذ الأئمة (ع) بزمام الحركات العسكرية و الثورية ضد الاجهزة الحاكمة بصورة مباشرة و ذلك بعد واقعة «الطف» و هم لم يدعموا تلك الحركات علانية ولكن يدوا واضحاً و مؤكداً تلويحات على أن هناك اشارات الدعم الشامل من قبل الأئمة لتلك الحركات مثل حركة زيد و شهيد فخ و مدحهم لقيادات بعض هذه الثورات. بالإضافة الى الشواهد الاخرى الدالة

٢- _____، (١٣٦١) معاني الاخبار، قم، دارجامعة المدرسين للنشر.

٣- _____، (١٣٦٢) كتاب الخصال، قم، دارجامعة المدرسين للنشر.

٤- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي، (١٤١٧) تهذيب التهذيب، بيروت، دارالمعرفة.

٥- ابن شهر آشوب المازندراني، زين الدين محمد بن علي (١٤٢٧) مناقب آل أبي طالب، بدون مكان، مؤسسة ذوي القربى.

٦- الاربلي، أبوالحسن علي بن عيسى (١٤٢٦)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، بدون مكان، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (ع).

٧- الاصفهاني، ابوالفرج (غفل عنها التأريخ) الأغاني، بيروت، دارالمعرفة.

٨- الاقبال، عباس (١٣٥٧)، آل النوبختي، طهران، مكتبة الطهوري.

٩- الامام الحسن العسكري (ع) (١٤٠٩) التفسير المنسوب، قم، مدرسة الامام المهدي (عج).

١٠- الحاراني، ابو محمد حسن بن علي، (١٣٦٣)، تحف العقول، قم، دارجامعة المدرسين للنشر.

١١- الحلبي، حسن بن يوسف (١٤١٧)، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال، بدون مكان، مؤسسة النشر الاسلامي.

١٢- الراوندي، قطب الدين (بدون تاريخ) الخرائج و الجرائح، قم، مؤسسة الامام المهدي (عج).

١٣- الصفار، ابو جعفر محمد بن حسن (بدون تاريخ) بصائر الدرجات في المقامات و فضائل أهل البيت، بدون مكان و ناشر.

٣٨١ و ٦٠٦ - ٦٠٨؛ نفس المصدر، ٣٤٧، ١٤١٧ و ٣٥٠؛ المفيد، ١٤١٣، ٢، ١٨٤-١٨٥ و ٢٢٥-٢٢٩).

ثمره البحث

ذكرنا سابقاً بأن هذه الدراسة تتحدث عن الاسباب وراء تحول الهيكلية الشيعية في فترة حياة الأئمة (ع). فإن الاسباب التي أدت الى اجتماع تلك الجماهير المتفرقة التي اعتقدت بولاية و قيادة آل النبي (ص) بحيث تمكنت من إقامة مؤسسة منظمة نشطة في القضايا السياسية و الدينية و الثقافية و الاقتصادية كل ذلك بفضل القيادة الرشيدة التي تجسدت في أئمة أهل البيت (ع). إن دراسة النشاطات التي قام بها تلاميذ مدرسة أهل البيت (ع) سواء في المجالات العلمية و الإجتماعية او السياسية تؤكد بوضوح رؤية أهل البيت (ع) البعيدة المدى و الهامهم الواعي لآفاق مستقبلية من اجل بناء منظمة موحدة نشطة إذ قاموا بتربية و إعداد الكوادر و القدرات العلمية و جعلهم حلقة وصل بينهم و بين الأمة . و هذا الأمر ساعد الى حد بعيد في إدارة هذا التنظيم في عصر حضور الأئمة (ع) و اتساع رقعته في البلاد الاسلامية بالإضافة إلى تهيئة الظروف و المناخات اللازمة لفترة غيبة الامام (ع) مما يجسّد التحول و التطور في هيكلية التنظيم الشيعي الناتج عن التعاون الهادف بين ابناء الشيعة و تلك النشاطات الجماعية الهادفة بينهم .

المصادر

١- ابن بابويه القمي، ابو جعفر محمد بن علي (١٣٥٩) كمال الدين و تمام النعمة، طهران دار الكتب الاسلامية.

- ١٤- الطبرسي، الفضل بن الحسن (١٤١٧). اعلام الورى باعلام الهدى . قم، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث.
- ١٥- الطوسي، ابوجعفر محمد بن الحسن (١٤١٥). رجال الطوسي . قم، دار جامعة المدرسين للنشر.
- ١٦- _____، (١٣٨٠) الاستبصار، قم، دار الحديث للطباعة و النشر.
- ١٧- _____، (١٤١٧) كتاب الغيبة، قم، مؤسسة المعارف الاسلامية.
- ١٨- _____، (١٤٢٤) اختيار معرفة الرجال، طهران، مركز الطباعة و التوزيع لتراث العلامة مصطفوي.
- ١٩- القمي، حسن بن محمد بن حسن (١٣٦١) ترجمه حسن بن علي عبدالملك القمي، طهران، دار طوس للنشر.
- ٢٠- الكليني الرازي، ابوجعفر محمد بن يعقوب (١٣٨٣) الكافي. طهران، دار الكتب الاسلامية .
- ٢١- كيدنز. أنطوني (١٣٨٤) قضايا محورية حول النظرية الاجتماعية. المترجم: محمد رضائي . طهران، سعاد.
- ٢٢- كيدنز. أنطوني (١٣٨٢) علم الاجتماع . المترجم، منوتشهر صبورى . طهران، دارنسي للنشر.
- ٢٣- المامقاني عبدالله (بدون تاريخ) تنقيح المقال، بدون مكان، بدون ناشر.
- ٢٤- المجلسي- محمد باقر (١٤٠٣) بحار الانوار بيروت دارالاحياء للتراث العربى.
- ٢٥- المسعودي، ابوالحسن علي بن الحسين (١٤١٧) اثبات الوصية، قم، مؤسسة انصاريان .
- ٢٦- المفيد. محمد بن محمد (بدون تاريخ) الاختصاص. قم، دار جامعة المدرسين.
- ٢٧- المفيد. محمد بن محمد (١٤١٣) الارشاد. قم، دار جامعة المدرسين للنشر.
- ٢٨- النجاشي. الاسدى الكوفي ابوالعباس (١٤٠٧) رجال النجاشي، قم، مؤسسة النشر الاسلامي.

اِئمه(ع)، تربیت نیروی انسانی و تحول ساختاری تشیع

علیمحمد ولوی^۱، صادق آینه‌وند^۲، محمدعلی مهدوی‌راد^۳، فهیمه فرهمندپور^۴

تاریخ دریافت: ۱۳۸۶/۷/۹

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۶/۸/۱۹

مقایسه جمعیت پراکنده و غیر سازمان یافته شیعیان در نیمه دوم قرن اول با سازمان تشکیل یافته تشیع در اواسط قرن سوم نشانه تحولی اساسی در ساختار این مکتب می‌باشد. مدیریت و رهبری ائمه یقیناً اساسی‌ترین عامل تحقق این امر بوده و طرح هدفمند آنان در تربیت نیروی انسانی کارآمد برای فراهم آوردن امکان انتقال معارف شیعی به توده‌های پیروان ائمه و ارتباط مؤثر با آنها در دورترین مناطق جغرافیای اسلام، از جمله تدابیر موفق برای تحقق این تحول به شمار می‌آید.

پژوهش حاضر بر مبنای نظریه «گیدنز» با عنوان «ساختار- کارگزار»، و متکی بر این فرضیه که «عملکرد ائمه در تربیت شاگردان خاص (وبه کارگیری آنها به عنوان حلقه ارتباطی با توده شیعیان در سرتاسر جغرافیای اسلام) موجب تحول ساختاری شیعه شده است»، به بررسی اهداف و شیوه‌های امامان شیعه در تربیت پیروان خاص خود پرداخته است.

واژگان کلیدی: امامان، تشیع، تحول ساختاری، تربیت شاگردان خاص

۱. دانشیار گروه تاریخ دانشگاه الزهراء(س)

۲. استاد تاریخ دانشگاه تربیت مدرس

۳. استادیار علوم قرآن و حدیث دانشگاه تربیت مدرس

۴. دانشجوی دکتری تاریخ اسلام، دانشگاه الزهراء(س)